من إحـــياء النـــموذج إلى ســـؤال الـــذات

إحـــياء النمـــوذج

التعـــريف:

تعني كلمة "الإحياء" لغة: إعادة الروح إلى جسد تداعى للسقوط، و اصطلاحا: جهود شعراء البعث في بداية النهضة العربية الحديثة لإنقاذ الشعر من رواسب الإنحطاط و الإبتذال. و لتحقيق هذا كان لزاما على شعراء البعث و النهضة أن يعودوا إلى الماضي باعتباره مستقر المثل الأعلى، حيث اتخذوا من الشكل القديم للقصيدة نسقا و مثالا يقتدون به، إذ اعتبروا أن إحياء الشعر و العودة به إلى مراحله الأولى ضرورة من شأنها أن تجنب الشعر العربي الحديث كل معالم الإنحطاط و ضروب الحذلقة اللغوية و التنميق و التكلف و التصنع، و تحيي فيه قوة و جمالية التعبير.

الســـياق:

شهد العالم العربي مع بداية القرن 19 بعض ملامح التجديد الذي شمل كل جوانب الحياة و ميادينها و خاصة الأدبية و الثقافية، بفعل مجموعة من العوامل التي طرحت إشكالا عريضا على العرب و هو: "لم تقدم الغرب و تأخر العرب" و من هذه العوامل:

- الإتصال الحضاري بالغرب عن طريق حملة نابليون
- البعثات العلمية التي ساعدت على تعرف النموذج الأوروبي
- ظهور الطباعة و الترجمة بإنشاء "مدرسة الألسن"
- نشأة الصحافة بظهور أول صحيفة "الوقائع المصرية"

و كل هذه العوامل أحدثت تفاعلا إيجابيا بين الأدب العربي و الأدب الغربي، إلى أن استعادت اللغة العربية قوتها و هبتها بعد الركود الذي عاشته في فترة عصر الإنحطاط. و هنا دعا قسم كبير من الأدباء و المفكرين إلى العودة إلى الماضي لاستلهام النماذج القوية في الموروث الشعري القديم و إحيائها من جديد و إبعادها من الصناعة اللفظية و الإغراق في التكلف سيما الحفاظ على وظيفته الأخلاقية.

الخـــصائص:

بالعودة إلى خصائص و معايير نظم الشعر في نموذج البعث و الإحياء شكلا و مضمونا، نجده يحتكم إلى عمود الشعر و الذي يضم بدوره 3 أسس هي: "شرف المعنى و صحته + جزالة اللفظ و استقامته + الإصابة في الوصف". و هي نفس المقومات التي اعتمدها القدماء في شعرهم، فبها يستدل على حسن النظم و إحكام صنعته، و إذا افتقدها الشعر صار مجرد جسد بلا روح، و كان هذا حال شعر الإنحطاط الذي فقد حسه الفني و ذوقه الشعري.

و بفضل مجموعة من رواد التيار الكلاسيكي الجديد من أمثال: "محمود سامي البارودي + أحمد شوقي + حافظ ابراهيم" تحرر الشعر العربي من تصنع الزخرفة اللفظية و ركاكة التصنيع البديعي، و اكتسب ملامح النزعة الذاتية في الإبداع الشعري. و هكذا جاءت قصائد هؤلاء المحدثين صدى لنماذج الروائع الشعرية القديمة مبنى و معنى، حيث لجؤوا إلى معارضة الشعراء القدماء و النسج على منوال قصائدهم. و بهذا الإقتداء استعاد الشعر العربي جزالته و قوته من حيث اللغة و البناء و التصوير الفني مع حرصه على التعبير عن قضايا و مستجدات العصر في كل أبعادها، أي في إطار علاقة جدلية تفاعلية تزاوج بين مطلب المحافظة و مطلب التجديد.

ســـؤال الـــذات

التعـــريف:

يحيل مصطلح "سؤال الذات" على معنيين:

- ما يطرحه الشاعر على ذاته من تساؤلات في علاقتها بالمحيط الخارجي
- ما يطرحه الشاعر على ذاته منفصلة عن كل ما يحيط بها

و كلا المعنيين يتمحور حول الذات و يستلهم أعماقها، و هكذا جاءت الرومانسية التي تمجد الذات كرد فعل ضد الكلاسيكية التي تعلي من شأن الموضوع. أي أن الشعر الرومانسي الذي يطرح سؤال الذات، ما هو إلا ثورة على الشعر الكلاسيكي الذي يمجد الأصول و يستند إلى المعايير و النماذج.

الســـياق:

في سياق التحولات التي عرفها العالم العربي الحديث، تولد عند بعض شعراء التجديد الوعي بأن وقوف اتجاه البعث و الإحياء عند حدود تقليد القدماء و طرقهم في النظم من شأنه أن يعود بالشعر إلى غمار التصنع و التكرار. و هنا طرحوا سؤالا عن حقيقة الشعر و علاقته بذات الشاعر و بمجتمعه.

بعد نظر عميق وجدت حركة التجديد الإجابة في كون جمال الشعر يكمن في مدى قدرته على التعبير عن ذات الشاعر و أحواله النفسية في صلتها بأحوال مجتمعه، و ليس في احتذاء نماذج جاهزة سلفا من التراث الشعري العربي. و بذلك ثار شعراء التجديد ثورة قوية على التقليد و على معيارية عمود الشعر الذي يحصر الإبداع الشعري ضمن قوالب و قيود شكلية ثابتة، فأعطوا للشعر مفهوما جديدا و وظيفة مغايرة لما جاءت به مدرسة البعث و الإحياء، حيث انطلقوا لسؤال الذات عوض العودة إلى الماضي.

و قد شكل هذا الصراع بين القديم و الحديث مرحلة طبعت مسار الأدب العربي الحديث بصداها القوي. و يعود الفضل في هذا إلى التأثير العميق الذي أحدثه كبار الرومانسيين في الأدب الفرنسي و الإنجليزي أمثال "فيكتور هيجو" و "توماس إليوت" على كثير من شعراء الأدب العربي الحديث كـ"مطران خليل مطران" الذي شكل مرحلة انتقالية من الكلاسيكية إلى الرومانسية، حيث اكتفى عن ترديد صور القدماء في شعره، مع حفاظه و تشبثه بالقوالب القديمة التي دعا إلى ملئها و ضخها بمضامين جديدة. فتلت هذه الدعوة انطلاقة لجيل جديد من المدارس و التيارات التي نادت بالمبدأ الرومانسي و طالبت بالتحرر و الإنسلاخ من سطوة القدماء، و هي:

- **مدرسة الديوان:** ثارت على القصيدة الكلاسيكية السطحية التي أوقفها التقليد عند حدود الإدراك الحسي دون النفاذ إلى ما وراء الحواس حيث عالم الشعر الحقيقي، فجددت بذلك مفهوم الشعر و حصرت ماهيته في الوجدان و أعادت الإعتبار للذات كما دعت إلى جعل القصيدة بنية متماسكة تتظافر فيها الأبيات بمعانيها الجزئية لتشكل وحدة عضوية تؤدي معنى واحدا. و من أهم أعلام هذه المدرسة: "عباس محمود العقاد + ابراهيم عبد القادر المازني + عبد الرحمان شكري".
- **جماعة أبولو:** تمردت هي الأخرى على الموروث الشعري الكلاسيكي و على معايير عمود الشعر، فدعت إلى التحرر من صرامة القافية الموحدة التي تقيد إبداع الشاعر و ذلك بتنويعها وفق المقاطع الشعرية مع جعل القصيدة وحدة عضوية تصب فيها كل المشاعر. و من أبرز أعلام هذا الإتجاه: "أحمد زكي أبي شادي + علي محمود طه + ابراهيم ناجي".
- **التيار المهجري:** لقي أدب المهجر ترحيبا حارا من باقي التيارات الرومانسية الأخرى، فهو أيضا يدعو إلى تجديد الأدب، و التحرر من التقليد الذي لا يستجيب لحاجات العصر و مستجداته. و يضم هذا التيار المهجري تحت كنفه فرعين آخرين هما: "الرابطة القلمية" في أمريكا الشمالية، و "العصبة الأندلسية" في أمريكا الجنوبية. و من الأدباء المهجريين الذين ذاع سيطهم: "ميخائيل نعيمة + جبران خليل جبران + إيليا أبي ماضي".

الخـــصائص:

ساهمت كل هذه الإتجاهات الرومانسية في تجديد الأدب العربي، عبر:

- الإنفلات من مقاييس عمود الشعر لكون سائر المعاني صالحة للشعر
- تحول مصدر الإلهام الشعري من التراث و الماضي إلى الذات و الوجدان
- الثورة على النظم الشعرية التقليدية من قوافي و أوزان موحدة
- اعتماد الوحدة العضوية و وحدة التجربة الشعرية بدل وحدة البيت
- الإنتقال من اللغة الشعرية الجزلة و الصارمة إلى لغة الوجدان المرنة